فؤاد أفرام البستانيّ (*١٩٠٤-١٩٩٤)

يوم الثلاثاء في الأوّل من شباط/ فبراير ١٩٩٤ طوى الموت عَلَمًا خفّاقًا طالما رفرف في سماء الآداب العربيّة، وحجبت سُتُرُ المئون نجمًا نيّرًا كثُرَ ما أطلّ بأشعّته من خلال مجلّة المشرق يرفدها بالعِلم والعمل طوال سنين مديدة. ولعلّه من الأصوب ألّا يقال في فؤاد أفرام البستانيّ - وهو ذاك الوجه الساطع - إنّه غاب، لأنّ مَن كان بحجمه وتألّقه لا يمكنه أن يرحل عن ذاكرة التاريخ وقلوب المحبّين والعارفين.

كان، رحمه الله، سليلَ الأسرة البستانيّة التي واكبت نهضة العربيّة وما زالت، فأغنتها بالأدباء والشعراء واللغويّين والنقلة والباحثين والمؤرّخين والموسوعيّين والمربّين، ولن نبالغ إن قلنا بأنّه جمع في شخصه جلّ ما اجتمع لسائر أنسبائه العظام من مواهب وصفات. فكان الأديبَ المذوّاقة، والمؤرّخ البحّاثة، والعالِم الموسوعة، واللغويّ البليغ، والمربّي الحكيم، فضلًا عمّا تحلّى به من مناقب الإنسان الإنسان، والوطنيّ المخلص، والمؤمن الورع الفاضل. وما تركه من أثر في أذهان طلّابه ومدرسيهم، وما خلّفه من آثار في سائر ميادين المعرفة، قمين بأن يعكس بعضًا من عبقريّته. فأجيالٌ من طالبي العلم مدينة له بـ منجد الطلّاب الذي أربت طبعاته على الأربعين وما زالت تتوالى، وبـ المجاني الحديثة في أجزائها الخمسة،

(*) هذا التاريخ هو الذي يثبتُ اعتمادُه، لا سنة ١٩٠٦ كما خُيّل إلى الكثيرين. فقد تأكّد ذلك للدكتور حارث البستانيّ، نجل المرحوم، بعد مراجعة سجلّات المعمد في كنيسة سيّدة النجاة ببلدة دير القمر حيث جاء أنّ فؤاد بن جرجس أفرام البستانيّ وُلد في شهر آب ١٩٠٤ وانتقل المعمد المقدّس في شهر تشرين الأوّل/ أكتوبر من السنة نفسها.

وسلسلة الروائع بأجزائها السبعة والخمسين، وذاكرة المعارف التي جلّدها وأشرف على إصدار مجلّداتها الأربعة عشر الأولى وحرّر قسمًا كبيرًا من مداخلها، وسوى ذلك الكثير الكثير.

ومجلّة المشرق التي تدين له بأمانة تحريرها مدّةً ناهزت ربع القرن، بين ١٩٢٧ و ١٩٥٠، تنحني أمامه بإجلال وعرفان جميل، راجيةً أن لا تُحرَم العربيّة من بعده مَن يتابع رسالته بمثل ما قام به عِلمًا وانفتاحًا واتّزانًا وإنسانيّة[٥٥].

المشرق

(٥٥) كتبت جميع الصحف اللبنانيّة مقالات ضافية عن فؤاد البستانيّ لدى وفاته وبعدها، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر القيّمة التالية التي وردت في صحيفة النهار البيروتيّة في: ٤/٢/١٩٩٤، ص. ١٣ (بقلم فاضل سعيد عقل)، و ٨/٢/١٩٩٤، ص. ١٣ (بقلم الحركة الثقافيّة ـ أنطلياس)، و ٢٨/٣/١٩٩٤، ص. ١٨ (بقلم جوزف حنين). كما نذكر بدقة بالفرنسيّة لرئيس الجمهوريّة السابق شارل حلو في صحيفة *L'Orient-Le Jour* البيروتيّة يومَ ٢ شباط ١٩٩٤. ومَن أراد الاطّلاع الوافي على سيرة العلّامة الراحل وآثاره، فعليه بآخر الجزء التاسع من مجموعة الروائع التي صدرت مجلّدةً تجليدًا فخمًا سنة ١٩٧٧ (ص. ٢٦٢-٣٧٦).